الخلافة، إذ يحسب اليمنيون أنهم أصحاب النفوذ فيها، وذوو السلطان في شئونها، فاتسعت الفجوة، وتأرثت نار العداوة، وتقارضوا ما تقذى به العين، ويشجى به الحلق، وضرب على أوتارهم الشعراء حتى طفح الكيل، فمن التقريب الحق أن تعتبر حقبة الدولة المروانية هي الحقبة التي ارتفع فيها نجم خندف، وصافح اسمها آذان الشعوب الإسلامية ذلك الحين.

إفراط الشعراء المضريين في تمجيد الخندفيين في خلافة المروانيين:

نهى الإسلام عن التعصب البغيض، فلم يكن للقديم ذكر في صدر الإسلام، وكان معاوية حكيماً سياسياً فرأى أن صلاح دولته يتطلب العنصريين، فعمل على إدناء اليمنيين وصاهرهم بزواجه ميسون بنت بحدل الكلبية حتى لا ينفرد به عنصره المضري ويطمع يوما ما في القضاء عليه، وانقضت مدته بسلام، وتورط ابنه يزيد في جرائمه، وتخلى عن تحمل الخلافة بعد توليها معاوية الثاني، فكان ما كان مما أشرنا إلى شيء منه، فبعث الدفين من التعصب منذ كان مروان الأول.

فمروان رجل داهية، وماضيه في خلافة عثمان مشنوء، ولولاه ما تألب عليه الأمصار، وقتلوه قتلة تقشعر منها الأبدان.

لقد تغيرت حالة الدولة، وتحلل الناس فيها من رقابة الوازع الديني، وتغلبت عليهم المطامع الدنيوية، وانفك قالة السوء من عقالهم، وألفى الشعراء الأودية التي يهيمون فيها، يمدحون ويثلبون، فينفحون.

ينفحون عمن تربطهم به وشيجة القرابة أو حافز الحباء، ويذيمون من يناصبهم العداء، وفي عِثْير هذا الصراع استهدفوا للتراشق بالنبال بعضهم لبعض، ثم تطور الحال بهؤلاء الشعراء في الإمعان بمجادة خندف حتى أطلقوها على خلفاء بني أمية وذلك لبعث الحمية المضرية في نفوسهم إلماعا لهم وتنبيها على استحقاق المضريين من قيس وخندف للأعمال في الدولة وقصر الولاية عليهم في الدولة دون اليمنيين، وبخاصة ولاية العراقين، درة الولايات الإسلامية وكبراها في تلك الآونة، وحدث هذا الاتجاه وكثر اللغط فيه عند ما عهد سليمان بن عبد الملك إلى يزيد